

معاني الكلمات :

- له الملك : التصرف المطلق في كل شيء .
 بالحق : بالحكمة البالغة .
 المصير : المرجع .
 وبال أمرهم : سوء عاقبة كفرهم في الدنيا .
 وتولوا : أعرضوا .
 والنور : القرآن .
 ليوم الجمعة : ليوم القيامة .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نعلم حقيقة الصلة بين الخالق سبحانه - وهذا الكون الذي خلقه .
- ٢ - أن نتعرف على حقيقة بعض صفات الله وأسمائه الحسنى وأثرها في الكون وفي الحياة الإنسانية .
- ٣ - أن نعلم مصير الغابرين من المكذبين بالرسل والبينات المعترضين على بشرية الرسل .

المحتوى التربوي :

يبدأ السياق فيشير إلى أن كل ما في السموات والأرض متوجه إلى ربه ، مسبح بحمده ، وقلب هذا الوجود مؤمن ، وروح كل شيء في هذا الوجود مؤمنة ، والله مالك كل شيء ، وكل شيء شاعر بهذه الحقيقة ، والله محمود بذاته ممجد في مخلوقاته ، فإذا وقف الإنسان وحده في خضم هذا الوجود الكبير كافر القلب جامد الروح متمرداً عاصياً ، لا يسبح لله ولا يتجه إلى مولاه ، فإنه يكون شاذاً بارز الشذوذ ، كما يكون في موقف المنبوذ من كل ما في الوجود ، والله سبحانه صاحب القدرة الطليقة التي لا تتقيد بقيد ، وتحقق ما تريد بلا حدود ولا قيود .

وهو الذي خلق الإنسان ، وأودع فيه إمكان الاتجاه إلى الكفر ، وإمكان الاتجاه إلى الإيمان ، وتميز بهذا الاستعداد المزدوج من خلق الله ، والله رقيب على هذا الإنسان فيما يعمل ، بصير

بحقيقة نيته واتجاهه ، فليعمل إذن وليحذر هذا الرقيب البصير ، وتأتى الإشارة إلى الحق الأصيل الكامن فى طبيعة الوجود ، الذى تقوم به السموات والأرض ، وصنعة الله المبدعة فى كيان المخلوق الإنسانى ، وتقرر رجعة الجميع إليه فى نهاية المطاف ، وتأتى الإشارة إلى تصوير العلم الإلهى المحيط بكل شئ ، المطلع على سر الإنسان وعلايته ، وعلى ما هو أخفى من السر من ذوات الصدور الملازمة للصدور ، واستقرار هذه الحقيقة فى القلب المؤمن يفيد المعرفة بربه ، فيعرفه بحقيقته .

يقول صاحب الأساس : « قررت الآيات أموراً وأقامت حججاً :

- ١ - تسييح ما فى السموات والأرض لله .
- ٢ - ملكية الله عز وجل للأشياء كلها .
- ٣ - أن كل نعمة ظاهرة وباطنة هى من الله عز وجل .
- ٤ - اتصاف الله عز وجل بالقدره المطلقة .
- ٥ - انقسام البشر إلى قسمين كبيرين مؤمنين وكافرين ، وذلك من مظاهر اتصافه بكمال القدرة .
- ٦ - اتصاف الله عز وجل بصفة البصر التى تحيط بالظواهر والبواطن .
- ٧ - أن الله عز وجل هو وحده خالق السموات والأرض وأن خلقه لها كان لحكمة وليس عبثاً .
- ٨ - وأن تصويره البشر على ما هم عليه أثر حكمته .
- ٩ - وأن إلى الله المرجع .
- ١٠ - وأن علمه محيط بما فى السموات وما فى الأرض وأنه يعلم ما يسره البشر وما يعلنونه ، وأنه عليم بما فى الصدور .
- ١١ - وأنه عذب الكافرين السابقين ؛ بسبب كفرهم يرسل الله عز وجل ومعجزاتهم ، وبسبب استكبارهم أن يهديهم البشر ، وزعمهم أن الله لن يبعثهم وهذا يقتضى نفى الحكمة الإلهية » .

ثم يذكر السياق بمصير الغابرين من المكذبين بالرسل والبيئات ، المعترضين على بشرية الرسل ، كما كان المشركون يكذبون ويعترضون على بشرية الرسول ﷺ ، ويكفرون بما جاءهم به من البيئات ، والخطاب هنا للمشركين ، وهو تذكير لهم بعاقبة المكذبين وتحذير لهم من مثل هذه العاقبة ، والاستفهام قد يكون لإنكار حالهم بعد ما جاءهم من نبأ الذين كفروا من قبل فذاقوا عاقبة أمرهم ، وقد يكون للفت أنظارهم إلى هذا النبأ الذى يقصه عليهم ، وهم كانوا يعرفون ويتناقلون أنباء بعض الهلكى من الغابرين ، كعاد وثمود وقرى لوط ، ويضيف القرآن إلى المعروف من مآلهم فى الدنيا ما ينتظرهم هنالك فى الآخرة من العذاب الأليم .

ثم يكشف عن السبب الذى استحقوا به ما نالهم وما ينتظرهم ؛ فقد كانت رسلهم تأتهم بالحجج والدلائل والبراهين ، فاستبعدوا أن تكون الرسالة فى البشر ، وأن يكون هداهم على

يدى بشر مثلهم ، فكذبوا بالحق ونكلوا عن العمل ، واستغنى الله عنهم وعن إيمانهم وعن طاعتهم ، وما هو - سبحانه - بمحتاج إلى شيء منهم ولا من غيرهم ، فهو الغنى الحميد .

ثم يحكى السياق تكذيب الذين كفروا بالبعث ، ومنذ البدء يسمى مقالة الذين كفروا عن عدم البعث زعماً ، فيقضى بكذبه من أول لفظ في حكايته ، ثم يوجه الرسول ﷺ إلى تأكيد أمر البعث بأوثق تأكيد ، وهو أن يحلف بربه ، والله أعلم منهم بعملهم حتى لينبئهم به يوم القيامة ، وذلك يسير على الله فهو يعلم ما فى السموات والأرض ، ويعلم السر والعلن ، وهو عليم بذات الصدور ، وهو على كل شيء قدير ، وفى ظل هذا التوكيد الوثيق يدعوهم إلى الإيمان بالله ورسوله ، والنور الذى أنزله مع رسوله ، وهو هذا القرآن ، وهو هذا الدين يبشر به القرآن ، وهو نور فى حقيقته بما أنه من عند الله والله نور السموات والأرض وهو نور فى آثاره إذ ينير القلب فيشرق بذاته ويبصر الحقيقة الكامنة فيه هو ذاته ، ويعقب على دعوتهم إلى الإيمان ، بما يشعرون أنهم مكشوفون لعين الله لا يخفى عليه منهم شيء .

وبعد هذه الدعوة يعود إلى استكمال مشهد البعث الذى أكد له أوثق تأكيد ، فأما أنه يوم الجمع فلا أن جميع الخلائق فى جميع الأجيال تبعث فيه ، كما يحضره الملائكة وعددهم لا يعلمه إلا الله ، وفى مشهد من هذا الجمع يكون التغابن ، وهو تصوير لما يقع من فوز المؤمنين بالنعيم ، وحرمان الكافرين من كل شيء منه ثم صيرورتهم إلى الجحيم ، فهما نصيبان متباعدان .

قال القاسمى : « قال القاشانى : أى ليس التغابن فى الأمور الدنيوية ، وإنما أمور فانية سريعة الزوال ، ضرورة الفناء ، لا يبقى شيء منها لأحد ، فإن فات شيء من ذلك أو أفاته أحد ولو كان حياته وإنما فات أو أُفيت ما لزم فواته ضرورة ، فلا غبن ولا حيف حقيقة ، وإنما الغبن والتغابن فى إفاته شيء لو لم يفته لبقى دائماً ، وانتفع به صاحبه سرمداً ، وهو النور الكمال والاستعدادى ، فتظهر الحسرة والتغابن هناك فى إضاعة الربح ورأس المال فى تجارة الفوز والنجاة كما قال : ﴿ فَمَا رَاحَتُ يَحْتَزُّهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ (البقرة) ، فمن أضاع استعدادة ونور فطرته كان مغبوناً مطلقاً ، كمن أخذ نوره وبقى فى الظلمة ، ومن بقى نور فطرته ولم يكتسب الكمال اللائق به الذى يقتضيه استعدادة أو اكتسب منه شيئاً ولم يبلغ غايته كان مغبوناً بالنسبة إلى الكامل التام ، فكأنها ظفر بذلك الكامل بمقامه ومرامه ، وبقي هذا متحيزاً فى نقصانه » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - على القلب أن يعيش فى خشية وارتقاب ، وطمع ورجاء ، وأن يمضى فى الحياة معلقاً فى كل حركة وكل خالجة باله بالله ، شاعراً بقدرته وهيمته .

٢ - كرم الله الإنسان وأودعه القدرة على التمييز والقدرة على الاختيار وعليه أن يبصر اتجاهه

٣ - ليس التغابن فى الأمور الدنيوية ، وإنما التغابن فى إفاته شيء لو لم يفته لبقى دائماً ، وانتفع صاحبه به سرمداً وهو ثواب الآخرة .

معاني الكلمات :

المصير : المرجع .

توليتم : أعرضتم .

يهد قلبه : يوفقه لليقين والصبر .

فتنة : بلاء ومحنة واختبار .

يوق : يسلم . شح نفسه : بخلها الشديد

مع حرصها . قرضا حسنا : احتسابا بطيبة

نفس وإخلاص ..



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نعلم أثر الإيمان بالله في هداية القلب .
- ٢ - أن نعلم دوافع التقصير في تبعات الإيمان .
- ٣ - أن نعلم كيف نتسامى على نقصنا وضعفنا .

المحتوى التربوي :

يقرر السياق قاعدة من قواعد التصور الإيماني في القدر، وفي أثر الإيمان بالله في هداية القلب، فهو الإيمان الذي يرد كل شيء إلى الله، ويعتقد أن كل ما يصيب من خير ومن شر فهو بإذن الله، وهي حقيقة لا يكون إيمان بغيرها، فهي أساس جميع المشاعر الإيمانية عند مواجهة الحياة بأحداثها خيرها وشرها، وهذا جانب ضخم من التصور الإيماني الذي ينشئه الإسلام في ضمير المؤمن، فيحس يد الله في كل حدث، ويرى يد الله في كل حركة، ويطمئن قلبه لما يصيبه من الضراء ومن السراء، يصبر للأولى ويشكر للثانية، وقد يتسامى إلى آفاق فوق هذا، فيشكر في السراء وفي الضراء؛ إذ يرى في الضراء كما في السراء فضل الله ورحمته بالتنبيه أو بالتكفير أو بترجيح ميزان الحسنات، أو بالخير على كل حال.

ومن استقر في ضميره هذا التصور الإيماني يهده الله هداية مطلقة ، ويفتحه على الحقيقة الدنية المكنونة ، ويصله بأصل الأشياء والأحداث، فيرى هناك منشأها وغايتها ، ومن ثم يطمئن ويقر ويستريح ، وهى هداية إلى شئ من علم الله ، يمنحه لمن يهديه ، حين يصح إيمانه فيستحق إزاحة الحجب ، وكشف الأسرار بمقدار .

ويتابع دعوتهم إلى الإيمان فيدعوهم إلى طاعة الله وطاعة الرسول ، وقد عرض عليهم من قبل مصير الذين تولوا ، وهنا يقرر لهم أن الرسول مبلغ ، فإذا بلغ فقد أدى الأمانة ، ونهض بالواجب وأقام الحجة ، وبقي ما ينتظرهم هم من المعصية والتولى ، مما ذكروا منذ قليل ، ثم يختم هذه الآية بتقرير حقيقة الوحدانية التي ينكرونها ويكذبونها ويقرر شأن المؤمنين بالله في تعاملهم مع الله ، وحقيقة التوحيد هى أساس التصور الإيماني كله ، ومقتضاها أن يكون التوكل عليه وحده ، فهذا هو أثر التصور الإيماني في القلوب .

وفي النهاية يوجه الخطاب إلى المؤمنين يحذرهم فتنة الأزواج والأولاد والأموال ، ويدعوهم إلى تقوى الله والسمع والطاعة والإنفاق ، كما يحذرهم شح الأنفس ، ويعددهم على ذلك مضاعفة الرزق والمغفرة والفلاح ، ويذكرهم في الختام بعلم الله للحاضر والغائب ، وقدرته وغلبيه مع خبرته وحكمته ، وهذا التحذير من الأزواج والأولاد كالتحذير الذي في الآية التالية من الأموال والأولاد معا ، والتنبيه إلى أن من الأزواج والأولاد من يكون عدواً .

إن هذا يشير إلى حقيقة عميقة في الحياة البشرية ، ويمس وشائج متشابكة دقيقة في التركيب العاطفي وفي ملاسبات الحياة سواء، فالأزواج والأولاد قد يكونون مشغلة وملهية عن ذكر الله ، كما أنهم قد يكونون دافعا للتقصير في تبعات الإيمان اتقاء للمتعاب التي تحيط بهم لو قام المؤمن بواجبه ، فلقى ما يلقيه المجاهد في سبيل الله ، والمجاهد في سبيل الله يتعرض لخسارة الكثير ، وتضحية الكثير كما يتعرض هو وأهله للعت ، وقد يحتمل العنت في نفسه ولا يحتمله في زوجه وولده ، فيبخل ويحجب ليوفر لهم الأمن والقرار أو المتاع والمال ، فيكونون عدواً له ؛ لأنهم صدوه عن الخير ، وعوقوه عن تحقيق غاية وجوده الإنساني العليا .

كما أنهم قد يقفون له في الطريق يمنعونهم من النهوض بواجبه؛ اتقاء لما يصيبهم من جرائه ، أو لأنهم قد يكونون في طريق غير طريقه ، ويعجز هو عن المفاصلة بينه وبينهم والتجرد لله ، وهى كذلك صور من العداوة متفاوتة الدرجات وهذه وتلك مما يقع في حياة المؤمن في كل آن ، ومن ثم اقتضت هذه اكمال العقدة المتشابكة ، التحذير من الله ، لإثارة اليقظة في قلوب الذين آمنوا ، والحذر من تسلل هذه المشاعر ، وضغط هذه المؤثرات .

ثم كرر هذا التحذير في صورة أخرى من فتنة الأموال والأولاد ، وكلمة فتنة تحتمل معنيين : الأول : أن الله يفتنكم بالأموال والأولاد بمعنى يختبركم ، فانتبهوا لهذا وحاذروا وكونوا أبدأ يقظين لتنجحوا في الابتلاء ، وتخلصوا وتجردوا لله ، كما يفتن الصائغ الذهب بالنار ليخلصه من الشوائب .

والثاني : أن هذه الأموال والأولاد فتنة لكم توقعكم بفتنتها في المخالفة والمعصية ، فاحذروا هذه الفتنة لا تجرفكم وتبعدكم عن الله ، وكلا المعنيين قريب من قريب .

وإن التحذير والتنبيه فيه لضرورة يقدرها من خلق قلوب الناس ، وأودعها هذه المشاعر ، ولتكفكف نفسها عن التهادى والإفراط ، وهى تعلم أن هذه الوشائج الحبيبة قد تفعل بها ما يفعل العدو ، وتؤدى بها إلى ما تؤدى إليه مكاييد الأعداء ، ومن ثم يلوح لها بما عند الله بعد التحذير من فتنة الأموال والأولاد ، والعداوة المستعرة في بعض الأبناء والأزواج ، فهذه فتنة ، وعند الله يوم القيامة الأجر العظيم .

ويهدف للذين آمنوا بتقوى الله في حدود الطاقة والاستطاعة ، وبالسمع والطاعة ، ويتجلى لطف الله بعباده ، وعلمه بمدى طاقتهم في تقواه وطاعته - بهذا القيد ﴿ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ فالطاعة في الأمر ليس لها حدود ، ومن ثم يقبل فيها ما يستطيع ، أما النهى فلا تجزئة فيه فيطلب بكامله دون نقصان .

ثم يهيب السياق بهم إلى الإنفاق ، فهم ينفقون لأنفسهم ، وهو يأمرهم أن ينفقوا الخير لأنفسهم ، فيجعل ما ينفقونه كأنه نفقة مباشرة لذواتهم ، وبعدها الخير لهم حين يفعلون ، ويريم شح النفس بلاء ملازما ، السعيد السعيد من يخلص منه ويوقاه ، والوقاية منه فضل من الله ، ثم يمضى في إغرائهم بالبذل وتحبيهم في الإنفاق ، فيسمى إنفاقهم قرضا لله ، ومن ذا الذى لا يربح هذه الفرصة التى يقرض فيها مولاه ؟ وهو يأخذ القرض فيضاعفه ويغفر به ، ويشكر المقرض ، ويحلم عليه حين يقصر في شكره وهو الله !

إن الله يعلمنا - بصفاته - كيف نتسامى على نقصنا وضعفنا ، ونتطلع إلى أعلى دائما لئلا - سبحانه - ونحاول أن نقلده في حدود طاقتنا الصغيرة المحدودة ، وقد نفخ الله في الإنسان من روحه فجعله مشتاقا أبداً إلى تحقيق المثل الأعلى في حدود طاقته وطبيعته ، وتبقى صفة الله التى بها الاطلاع والرقابة على القلوب ، فكل شئ مكشوف لعلمه ، خاضع لسلطانه ، مدبر بحكمته ، كى يعيش الناس وهم يشعرون بأن عين الله تراهم ، وسلطانه عليهم ويكفى أن يستقر هذا التصور في القلوب لتتقى الله وتخلص له وتستجيب .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - كل شئ يقع في هذا الكون بإرادة الله تعالى ، والمؤمن هو الذى يسلم الأمر لله وحده ، فيعيش قويا آمنا راضى النفس بكل ما يصيبه بعد أن يتخذ الأسباب ، ويؤدى ما عليه من واجبات .

٢ - الإسلام دين يسر وسباحة ، وقد أمر الإنسان أن يفعل ما في استطاعته من الطاعات وأعمال الخير ، ولكن عليه أن يجتنب كل ما نهى الله عنه .

٣ - طاعة الرسول واجبة مثل طاعة الله تعالى .